

تصور المستشرقين عن الأمة المسلمة

(دراسة الحالة لرأي كل من Clifford Geertz وMax Weber)

دكتور/ شمس العارفين*

١- مقدمة

أصبحت الدراسة عن الاستشراق والأمة المسلمة مهمة للغاية علما بأن الأمة المسلمة توضع موضوع دراستهم. الاستشراق عبارة عن الحركة الفكرية التي تتركز دراسته على قضايا الشرق والإسلام (WAMY، ١٩٩٣: ١٥). تشمل دراستهم الحضارة الشرقية بما فيها الثقافة والديانة والفنون واللغة والأدب والتركيبات الاجتماعية.

ومن الملاحظ أن معظم المستشرقين أكثر ميلا إلى محاولة الكشف عن نقاط الضعف عند المسلمين والشرقيين من شتى نواحي الحضارة. ويتجلى ذلك في أنظارهم المتأثرة بالنزعة الغربية إذ أن معظم نظرياتهم الاجتماعية تعتمد على البيانات العلمانية والمنتزعة النزعة الإنسانية التي يملك المجتمع الغربي.

تسبب النزعة الغربية في دراسة المجتمع الشرقي الإسلامي ظهور ردود الفعل من الاجتماعيين المسلمين حيث يرون أن نظرياتهم يصعب تطبيقها في المجتمع الشرقي والإسلامي. ومن المستشرقين من اعترفوا بقصور نظرياتهم منهم Murdock إذا أنه يجد غضضا في تطبيق علم الاجتماع الغربي على المجتمع غير الغربي ويعود السبب إلى كون المفاهيم والنظريات الغربية نتيجة لدراسة المجتمع الغربي التي لم تثبت صحتها على المجتمعات الأخرى. وأضاف Ember أن تطبيق المفاهيم والنظريات الغربية على المجتمع غير الغربي إنما هو محاولة قياس المجتمعات التي تناسس على النزعة الغربية الأوروبية على المجتمعات غير الغربية بمقياس الغرب.

واعتبر Piers أن رفض استعمال النظريات الاجتماعية الغربية لقياس المجتمع غير الغربي عبارة عن النضال والكفاح من قبل العلماء الشرقيين على الاحتلال العلمي. لأنهم وجدوا أن

* جامعة جاكرتا الحكومية - إندونيسيا.

الدعوة إلى تطبيق النظريات الغربية تهدف إلى إخضاع العلماء الشرقيين حتى يكونوا مستهلكين لما أملاه الغرب.

وفي هذا الصدد يرى إلياس بايونس أن الأفكار الغربية كثيرًا ما تخالف تصورات المجتمع غير الغربي اخلية. ومن ثم فدراسة الاجتماعي الغربي للمجتمع غير الغربي ينقصها عدم الثبات والالتزام في تبني المداخل والمناهج.

ويرى **Turner** أن **Max Weber** له مكانة مرموقة بين الاجتماعيين بعد أن قدم نتائج بحوثه عن مجتمع الهند والصين وأوروبا بالإضافة إلى مساهماته الوفيرة في وضع علم الاجتماع المعاصر من خلال الفلسفة الاجتماعية والمهجع المتعلق بها إذ أنه حاول قياس الواقع الاجتماعي قيامًا ذاتيا. إلا أن دراسته للإسلام ومحمد تأتي تلك الفلسفة، فيبدو ثنائية موقف **Weber** وذلك لأنه يقدم الإطار الذي يساعد على النظر إلى تطور المجتمع المسلم في جانب ولكنه لا يلتزم بالإطار نفسه في تطبيقه في جانب آخر إذ يبدو أنه غير محايد في تحليل المجتمع غير الغربي.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على تصور المستشرقين للمجتمع الإسلامي. وهو يتركز على تصور المستشرقين الألماني والأمريكي هما **Max Weber** و **Clifford Geertz** من خلال دراستهما حول المجتمع الشرقي والإسلامي. أجرى **Geertz** دراسته في أندونيسيا والسودان وغيرهما وأما **Weber** فأجرى بحثه في الصين والهند والبلاد الأخرى وهو يتكلم كثيرا عن الإسلام أيضا.

٢- **Weber** ونظرتة عن الحضارة الغربية والشرقية

سيصف الكاتب في هذا المجال آراء **Weber** عن الشعب الغربي والشعب الشرقي. يرى **Weber** أن الشعب الغربي أكثر تميزا من الشعب الشرقي بفضل العلوم والتكنولوجيا التي تم تطويرها عندهم. ولما كتبه **Weber** يبدو أنه من المتساهل في تبسيط القضايا وهو يشرح عن المجتمع الشرقي وعلى سبيل المثال قوله بأن الحضارة الغربية هي الوحيدة التي لها قوة التطور والتجدد لأنها الوحيدة المتصفة بالعالمية (١٢: ١٩٨٩، **Andreski**).

وهذا الرأي القياسي يتم تفريعه إلى النظرات التي لا تعتمد على البيانات الكافية. فيدعي **Weber** أن المعارف تنمو بفضل الحضارة الغربية حيث تقدم الغرب تنظيمًا محكمًا للمعارف تجريبية كانت أم فلسفية تأملية.

مهما أن الحضارات الأخرى في مصر والصين والهند والبابل قد توصلت إلى المعارف والاستقصاء إلا أن Weber وجد منها القصور فمثلاً يرى Weber أن علم الفلك البابلي لا يُنَي على الرياضيات وفي الهند لا تبي Geometri وفقاً للمنهج العقلاني. كما أنه يرى أنه بالرغم من تقدم الهند في ابتكار العقاقير والأدوية إلا أن المعارف الطبيعية لم تناسس على المنهج التجريبي، وتوصل بذلك Weber إلى الخلاصة بأن المعارف العقلية لم تنضج بعد إلا عند الحضارة الغربية.

وانتقد Weber التاريخ العلمي لدي الصين قائلاً إن المعارف التي تم اكتشافها عند الصين لم يتم تنظيمها وفقاً لمنهج كشف البيانات المباشر. فمن الصعب التمييز بين الأساطير والمعارف العلمية وكذلك الأمر بالنسبة للتفكير السياسي في آسيا. فلم يستخدم فيه المناهج المنظمة والمفاهيم العقلانية وخلاصة القول فإن Weber يتهم الحضارات الأخرى بأنها لم تتوصل إلى المعارف والفنون المنظمة والمصطبغة الصبغة العقلانية بخلاف الحضارة الغربية.

ونظرة Weber عن قصور المجتمع الشرقي في ميادين مختلفة كما سبق شرحه تمثل أنظار غالبية المستشرقين. فعطى النظرة صورة عن علوية المجتمع الغرب ودنوية المجتمع الشرقي خاصة المجتمع المسلم.

٣- Weber وتصوره عن الإسلام

إن آراء Weber عن الإسلام أكثر قساوة وطعنا من آراءه عن الحضارة الشرقية عامة، إذ أنه يرى أن الإسلام دين اعتقه مغامرون يرمون بما عملوا إلى الاستعمار والاحتلال والنهب. فالصوفية في نظره أيا كان نوعها لا تليق بالإسلام مهما أنه اعترف بوجود مجموعات صوفية في الإسلام إلا أنه يرى أن تلك العملية الصوفية ما زالت في الطبقة السفلي بالمقارنة مع الصديقة في المسيحية (Scharf, ٢٠٠٤: ٢١٩).

ويرى Weber أن ظهور الإسلام في المدينة ظهور ديانة الجنود العرب القومية نتيجة الكبت الكتب الطبقي الشديد (Weber, ١٩٦٤: ٢٦٢). ولا يشترك في الإسلام إلا أنصار محمد الأقوياء الذين يتبعونه لتحقيق طموحاته. ويرى Weber أن الهدف الرئيس للإسلام هو القتال حتى يخضع معتقو الأديان الأخرى ويدفعون الجزية. وبفضل الجزية والضرائب الأخرى تمكن الإسلام من احتلال قمة الحضارة العالمية.

ذلك ما يضع الإسلام كدين طبقة الجنود. وفي هذه الظروف فتحل الغنيمة مكانة مهمة في مجال الاقتصاد بالإضافة إلى أن مبادئ الأخلاق الاقتصادية في الإسلام مبدأ إقطاعي خالص. ويدل التاريخ على أن الصحابين الكبار تمتعوا بالثروة المالية العظيمة نتيجة جمعهم الغنائم. ويتولى الأغنياء مقاليد الأمور بفضل الغنائم التي جمعوها فيتولى الأغنياء السياسة فيجمعون بين الأمور الدنيوية والأمور الدينية. فهم يلبسون أفخر الملابس مع التظاهر بأية الدين الحقيقي. ليس الإسلام في رأي Weber دين السلام والسلامة (Weber, 1995: 265). فالسلامة مفهوم غريب في الإسلام. لأن الإسلام يعلمنا بأن الله رب ذو القوات اللامتناهية. ومن ثم فتبنى الأنظمة والأحكام في الإسلام وفقاً للخصائص السياسية. الثروة والقوة والعظمة وعود الإسلام الحربية بالإضافة إلى وعد الجنة للشهداء من المجاهدين. وللإسلام مفهوم خاص عن الذنب وهذا المفهوم يتمتع بالنزعة الإقطاعية أيضاً. والأدلة الأخرى التي تبرهن على الخصائص الإقطاعية في الإسلام قبوله للاستعباد وتعدد الزوجات بالإضافة إلى المعاملة غير العادلة للنساء.

هذه التصورات إنما هي الإهانة المنظمة بالإسلام أنها عبارة عن نقص من شأن الإسلام.

٤- طبقات المجتمع الجاوي عند Geertz

يقسم Geertz في كتابه *The Religion of Java* المجتمع الجاوي إلى ثلاثة الأصناف الاجتماعية ألا وهي طبقة مجتمع *Abangan* المتمركز في القرى وطبقة مجتمع *Santri* المتمركز فيما حول السوق وطبقة مجتمع *Priyayi* المتمركز في المكاتب الحكومية أو المدينة. تمثل كل طبقة صورة تدين كل منها. فطبقة *Abangan* تميل إلى النزعة الاغيبية (*mistic*) في التدين وطبقة *Santri* تميل إلى العمل بالإسلام وطبقة *Priyayi* تميل إلى العادات الهندوكية. مهما أن الطبقات تختلف من واحدة إلى أخرى فإنها تكمل بعضها بعضاً لتكوين النظام الاجتماعي العام في *Mojokuto*. ويرى Geertz أن الدين يلعب دوراً مهماً في توحيد المجتمع وتفكيكه إلا أن Geertz أكثر اهتماماً بدور الدين التفكيكي في نظام المجتمع الجاوي *Mojokuto*.

وتقسيم المجتمع الجاوي إلى ثلاث طبقات لا يطبقه المجتمع الجاوي نفسه تجاهم. ويرى *Parsudi Suparlan* أن Geertz له إطار نظري استفاد منه أداة للتحليل وهذا الإطار

كان عرضه Redfield للنظر إلى تركيبات سكان المدينة والقرية. ومن هنا فيتضح لنا اختلاف تقسيم Geertz لمجتمع Mojokuto إذ أنه وضع إطار غير الإطار المناسب لموضوعه.

وبالإضافة إلى ذلك فاستعمال مصطلحات Abangan و Santri و Priyayi لتصنيف المجتمع الجاوي ليس محكمًا ودقيقًا لأن ثلاثة الأصناف التي ذكرها Geertz لا تعود إلى النظام التصنيفي الواحد. Abangan و Santri تقسيم على حسب درجة التزام المسلم بأداء الطقوس الدينية (العبادة المحضة في الإسلام). أما Priyayi فهو صنف اجتماعي أي وضع للنظر إلى التركيبات والطبقات الاجتماعية. والمصطلحين Santri و Abangan ليسا دليلًا على الطبقتين الاجتماعيتين المختلفين إذ أنهما تنسبان إلى الطبقة الواحدة في حقيقة الأمر، فالتفريق بينهما ليس تفريقًا جوهريًا وإنما التفريق العرضي.

ومن هنا لا بد من السؤال عما دفع Geertz إلى تبسيط تركيبات المجتمع الجاوي؟ يمكننا أن نحيب عن هذا السؤال بالنظر إلى تأثير هذا التقسيم في التطورات السياسية في أندونيسيا. ويبدو جليًا في تجربة شعب أندونيسيا أن الخطاب عن Abangan و Santri و Priyayi له تأثير ذو معنى في ظهور مذهب الطائفية في السياسة بأندونيسيا.

ومنذ ١٩٥٥ حتى ١٩٩٩ يتساهل المجتمع الإندونيسي في الانتساب إلى الأحزاب أو المجموعات التي تمثل أصنافهم الاجتماعية أي حزب الشيوعية الإندونيسي لطبقة Abangan وحزب Masyumi الإسلامي لطبقة Santri والحزب القومي لطبقة Priyayi والأحزاب الأخرى الصغيرة التي تكون أقمارًا للأحزاب الكبيرة الثلاثة.

وفي عهد النظام الجديد فضمت الحكومة الأحزاب ذات النزعات والأغراض المتنوعة إلى ثلاثة أحزاب رسمية هي حزب المهنيين (Golkar) وحزب التنمية المتحدة (PPP) وحزب الديمقراطية الإندونيسي (PDI). وهذه الأحزاب الثلاثة تمثل طبقات Santri, Priyayi و Abangan. وبعد سقوط نظام Suharto ما زالت السياسة الطائفية تجدد صداها إذ تحددت الأغراض السياسية المتشابهة إلى الأحزاب المعنية. ويتضح لنا أن نظريات Geertz ذات تأثير سلبي في المجتمع الإندونيسي.

٤- نظريات Geertz الغامضة

النظريات التي قدمها Geertz غامضة وغير واضحة. لأنها مبنية على التصور الغامض عن العلاقة بين الدين وطبقات المجتمع الجاوي. ومن الملاحظ أن Geertz يضع الدين عنصراً من عناصر النظام الحضاري إلا أن الحضارة بالنسبة له لا تعرف كنماذج السلوك والأخلاق وإنما تعتبر مجموعة الأنظمة والخطط والأدلة التي يمكن أن يستفيد منها الإنسان لتنظيم أخلاقه وسلوكه. كما يرى Geertz الحضارة كنتظيم المعلومات والمفاهيم المتلخصة في الرموز المتعلقة بوجود الإنسان. ونقل Pals عن Geertz تعريف الدين بأنه نظام الرموز الذي يهدف إلى تكوين الشعور والدوافع القوية وهذا النظام ينتشر ويبقى في نفس أحد عن طريق خلق التصور عن النظام العام للكون وتعليق المفاهيم على الواقع مما يؤدي بالشعور والدوافع إلى أن تكون واقعاً مميزاً.

إذا تدبرنا (The Religion of Java) مستخدماً التعريف السابق يتجلى لنا أنه يمثل وجهة النظر السابقة وكذلك وصف Geertz وتحليله عن ديانات سكان جاوي في Mojokuto فإنهما يقومان على نظام الرموز الذي يجعل الدين ديناً ويربط النظام بعمليات التركيبات الاجتماعية والنفسية.

ومع ذلك فإن Geertz لا يرى وجود الدين الجاوي كتقليد القدماء كما كتبه الخبراء الاجتماعيون أهولانديون وإلى جانب ذلك فلا يرى Geertz أن الدين الجاوي الذي يشمل على المبادئ الرئيسة Sangkan paraning dumadi وهي البيان عن حقيقة الإنسان وأهداف حياته.

إذا جمعنا البيانات عن الدين الجاوي وقمنا بالبحث فيها فعرّفنا أن أصناف Priyayi و Santri و Abangan، إنما هي تقسيم مضطرب وذلك لأن الدين الجاوي في حقيقة أمره لا يعرف تلك الأصناف ولكن من الأسف إن تلك الأصناف تم تكوينها إجبارياً في إطار خدمة رسالة المستشرقين لإضعاف المجتمع الجاوي خاصة غالبية المسلمين منهم.

٥- منهج الوصف العميق الذي لا يلتزم به Geertz

حاول Geertz الوقوف على سكان Mojokuto جاوي مستخدماً المنهج التفسيري المسمى thick description وهو يهمل المجال الذي هو فيه إلا أن هناك انتقادات من قبل الانثروبولوجيين التي تجرد إشكالياً في تطبيق Geertz المنهج في الميدان العملي

(Pales, ١٩٩٦:٤١٠) على سبيل مثال تصريح Geertz بأن تحليله للحضارة ليس تحليلاً تجريبياً علمياً يرمي إلى التعميد ولكنه مجرد التفسير للحصول على المعنى.

هذا الإدعاء فلا يكون Geertz إلا يلعب بالكلمات ذلك لأن المنهج التفسيري إنما يبحث عن المعنى ولا يرمي إلى تكوين النظريات العلمية التي تشرح ما توصل إليه في الميدان العملي ومن ثم فكرة Geertz ليس إنتاجاً علمياً وبما أن النظريات هي التي تحكم على المعارف العلمية فتفسير Geertz للمعنى الذي ليس له العلاقة بما إنما هو قتل المعارف من قبل Geertz. للمنهج التفسيري مشكلة تتمثل في أنها تضعف الدوافع للتوضيح. ومما يثبت ذلك ما أوضحه Geertz حول مجازر ألوف سكان بالي في سنة ١٩٦٥ إثر سقوط سوكرنو (Soekarno) إذ أن Geertz يرجع إلى التناقض المبدئي في شعور سكان بالي بين حبهم للفنون وحبهم الأعمى للعنف. إلى أن Geertz في عملية بحثه ليس جاداً في البحث عن أسباب تلك الحادثة مع أنه في الواقع بإمكاننا البحث عن قاتليهم ومن استفاد من الحادثة. وهنا لا يقدم Geertz أسئلة عن احتمال تورط العناصر الخارجية من أمثال مركز المخابرة الأمريكية أو كبار القوات المسلحة الإندونيسية وأنصارهم بل يطرح عن كيفية حصول سكان بالي على أمنيته السياسية. وهنا يتجلى لنا عدم صدق المستشرقين في تقسيم الأمور المتعلقة بتصرفات الغرب السيئة نحو الشعب الشرقي. ولذلك فلا بد لنا من الشك بنموذج تركيب المجتمع الجاوي الاجتماعي والمنهج التفسيري المبين من قبل المستشرقين وذلك بأنهم قد صاغوا تلك النماذج منذ أن كانوا في بلادهم و يطبقوها في أندونيسيا بغية منهم إضعاف المسلمين هناك.

٦- الخاتمة

الاستشراق خطاب قام بتكوينه الغرب الأوروبي والقائمون بهذا التكوين يأتون من ميادين العلم المختلفة وصاغوا تصورهم للشعب الشرقي بوجهة النظر الهيمنة والسيادة على الشرق (Aschroft, ٢٠٠٤:١٦٨).

وذلك التصور ليس تصور الشعب الشرقي لأنفسهم وإنه صيغ وفقاً للافتراضات المنحازة للزرعة الأوروبية المتصفة بالذاتية الأوروبية التي تدفع أصحابها إلى النظرة العنصرية والاستعمارية. لأراء المستشرقين في المجال الاجتماعي قصور ونقصان خاصة فيما يتعلق بالأمة المسلمة كما نجدتها في رأي Geertz و Weber، وفي هذا الصدد فقد ذكر Turner ثلاث قصور لعلم

الاجتماع الديني (Turner, 1991:16) أولا يرى Turner أن تركيز الاجتماع الديني الغربي على الواقع التحريبي ضيق للغاية إذ أنهم يهتمون فقط بديانات الغرب. وإلى جانب ذلك لم تستفد نظرياتهم من الثروة الثقافية و الأنثروبولوجية والعرقية للديانات الأخرى.

وفهم الاجتماعي الغربي من أمثال Weber والأنثروبولوجي من أمثال Geertz عن الديانة الأخرى لا يأتي من خلال تلك الديانة نفسها وإنما يأتي من وجهة النظر الخارجية التي تؤثر فيهما حتى يخللا تلك الديانة وفقاً لتلك النظرة ومن هنا فيمكن القول بأن تحليل المستشرقين بالإسلام إنما هو محاولة الغرب للهيمنة على الخطاب الإسلامي وفقاً لوجهة نظرهم المنحاز إلى النزعة الأوروبية.

مراجع

Aschcroft, Bill., et.al., *Key concept in Postcolonial Studies*, Canada: Routledge, 2004

Al-Nadwah Al-Alamiyyah Li Al-Syabab Al-Islamiy, *Al-Maushu'ah Al-Muyassarah Fi Al-Adyaan Wa Al-Mu'aashirah* (terjemahan A. Najiyullah; *Gerakan Keagamaan dan Pemikiran: Akar Ideologis dan Penyebarannya*, Jakarta: Al-Ishlahy Press, 1993)

Andreski, Stanislav, *Max Weber On Capitalism, Bureaucracy and Religion* (terjemahan Hartono H.; *Max Weber: Kapitalisme Birokrasi dan Agama*, Yogyakarta: Tiara Wacana, 1989)

Ember, Carol L. dan Melvin Ember, *Perkenalan Dengan Antropologi*. (dalam T.O Ihromi (penyuntingan); *Pokok-Pokok Antropologi Budaya*, Jakarta: Gramedia, 1980)

Geertz, Clifford., *The Religion of Java* (terjemahan Aswab Mahasin; *Abangan, Santri dan Priyayi Dalam Masyarakat Jawa*, Jakarta: Pustaka Jaya, 1981)

Jurnal Ulumul Qur'an, Volume III, No.4 Th. 1992

Moore, Gilbert, Bart, *Postcolonial Theory, Contexts, Practies, Politics*, New York: New Left Book, 200

Murdock, George Peter, 1960, *Sociology and Anthropolgy*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press

Pals, Daniel L., *Seven Theories of Religion* (terjemahan Inyiaq Ridwan Muzir; *Dekonstruksi Kebenaran: Kritik Tujuh Teori Agama*, Yogyakarta: IRCiSoD, 1996)

Piers, Ralp., *The Implantation of Sociology in Asia*, International Social Science Journal, 1969

Said, Edward, *Orientalism* (terjemahan Asep Hikmat: *Orientalisme*, Bandung: Penerbit Pustaka, 2001)

Scharf, Betyy R., *The Sociological Sociology of Religion* (terjemahan Machnun Husen; *Sosiologi Agama*, Jakarta: Prenada Media, 2004)

Shils, Edward, *The Inteectuals and The Powers*, Chicago: University of Chicago Press, 1972

Turner, Bryan S., *Weber and Islam*, Boston: Rontge and Kegan Paul, 1974

Turner Bryan S., *Religion and Social Theory* (terjemahan Inyiaq Ridwan Muzir; *Agama dan Teori Sosial*, Yogyakarta: IRCiSoD, 1991)

Weber, Max., *Sociology of Religion*, Boston: Beacon Press, 1964